الحضارة الاسلامية..وحقوق الانسان
(الحرية والعدل نموذجا)

أ.د/هدي عبد الحميد زكي
أستاذ العقيدة والفلسفة – جامعة الأزهر فرع السادات– رئيس قسم أصول الدين

مقدمة :

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه....وبعد:

فى الواقع ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الاسلامية الأساس والأصل فيها هو العدل فى حقوق الانسان؛هذا لأن تلك الحقوق أحكام شرعية ، أثبتها الشرع للإنسان تحقيقا لمصلحة الفرد خاصة , ومصلحة المجتمع كافة ، بتوازن دون خلل ولا إفراط ولاتفريط ، شاملة الحياة كلها ؛ لتحقيق الإصلاح والصلاح على الارض ، ومن ثم فإن الحقوق الاسلامية تكاليف وأحكام شرعية واجبة , على كافة الناس , كما هى لهم هى عليهم أوجبها الشرع الحكيم , ليعم الخير والسلام على الارض . وإن القرآن الكريم هو المصدر والأساس الأول لتشريع تلك الحقوق ، قال الله تعالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) 1

ومصداقا لهذه الآية قال الله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ثم قال الله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) لقد تضمن قوله سبحانه اهم وأصول الحقوق الإنسانية العامة , من حق الكرامة والعدل والوفاء بالعهود.

وإن المصدر الثانى والاساسى فى تشريع تلك الحقوق السنة النبوية الشريفة , والتى توجب صيانتها واحترامها , من اهمها خطبة الوداع ، التى وضحت جريرة وعظم التفريط فى عمل تلك الحقوق : ولذلك هى وثيقة شاملة وكاملة , لحقوق الانسان على الارض الى يوم القيامة ، ونجد أيضا مما يجب ذكره صحيفة المدينة المنورة لرسول الله صل الله عليه وسلم المشهورة بأنها تضمنت حقوق المسلمين , و غير المسلمين ، وعلى هذا النهج الشرعى عمل الصحابة وتابيعهم بإحسان بتلك الحقوق ، وعليها قامت الحضارة الأسلامية . أعظم حضارة على الأرض .

يبين ذلك التالى وبالله التوفيق وصل الله عليه وسلم

---

1 – الأسراء : اَية 70_

2– الأنعام : 151 , 152

DOI:10.12816/0040833

الفصل الأول

كرامة الإنسان .. وأسس النظرة الإسلامية للبشر

تمهيد:

قال الله تعالى : **[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]**[1].

لقد خلق الله تعالى الإنسان، فقدر وجوده على كوكب الأرض، وأكرمه على سائر مخلوقاته، بحمله أمانه التكليف، وخلافة الأرض؛ ومن ثم هو بكونه إنساناً، يجب أن يتمتع بحقوقه الإنسانية، التي بها تتكامل بشريته، قال الله تعالى **[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً]**[2].

ومن ثم فإن المقصود بحقوق الإنسان (كما سيتبين) أن يعيش حياة صحيحة، علماً ومعرفة وسلوكاً، وخلقاً.

وأن يعيش في مجتمع آمن يمنحه تلك الحقوق، كما يجب أن يؤدي ما عليه من حقوق للآخر .

ففي الواقع الإسلامي أن الحقوق كشجرة : كل أغصانها، وفروعها تتعلق ببعضها البعض حتى تأتى ثمرتها المطلوبة، كما خلقها الله تعالى.

ولذلك فإن الحقوق الإسلامية، لا تشمل الفرد فقط، وإنما تشمل الفرد والمجتمع علي حد سواء وكذا كل ما يتعلق بكافة المخلوقات علي الارض.

بل هي أعمق وأشمل، وأكمل من ذلك، بحيث تفوق قدر الانسان العقلية علي الاحاطة بها ، كما ان تلك الحقوق واجبة دون إفراط، ولا تفريط، ولا إهمال.

وأشير كما سيأتي، انه لا فرق في الحقيقة بين مصلحة الفرد، ومصلحة المجتمع عامة . وهناك الكثير من الآيات التي تحذر الإنسان من أن يغتر بفكره، فى تصنيف الصلاح، والفساد على الأرض، دون الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال الله تعالى : [**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ]**[3].

يبين ذلك التالي

الحكم الشرعي لحقوق الإنسان:

إن الحقوق الإسلامية واجبة وفرض على حسب تفصيلات الشرع الحكيم لها، ومن ثم فهي أحكام شرعية ؛ تحقق للإنسان الخير، والأمن والسلام، والحياة الكريمة الطيبة، والتي هي السبب لخلوده في الجنة.

وإن الحقوق الإسلامية عامة، وشاملة، وكاملة تمتد إلى كافة جوانب الحياة على الأرض ولذلك أوجبها الشارع الحكيم الوجوب العيني، اللازم للإنسان في العلن والخفاء وبقلبه وقالبه، ولقد فصلًها الشارع الحكيم، ووضح فيها الأمر توضيحاً.

ومن ثم فإن التجاوز في تلك الحقوق يضيع الأمانة ويؤدي إلي الإفساد في الأرض ولقد ضبط الشرع تلك المسألة بعقوبات مقرره في الدنيا والآخرة .

---

[1]() البقرة: آية 30.

[2]() لقمان : آية20.

[3]() البقرة: آية 11، 12.

ومن الجدير بالذكر، هذا الجرم لا يختص بالإنسان فقط، فقد ذكر رسول الله ρ قصة المرأة التي دخلت النار في هرة، فلا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض، فهذا من حقوق الحيوان، كما ذكر ρ قصة الرجل الذي أدخله الله الجنة لأنه سقى كلباً .

ومن الجدير بالذكر :

من حكمته سبحانه وتعالى أنه أراد أن يتذوق الإنسان جريرة عمله الفاسد ، لعله يرجع إلى الإصلاح، قبل جزاء الآخرة قال تعالى :**[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]**[1].

فلعله بذلك يعود إلي طريق الحق ؛ فلا يجوز بأي وجه من الوجوه إسقاط المسلم واحدة من تلك الحقوق ولا حتى الاستهانة بها ، حيث أنها جميعا تخضع في ميزان الحساب والجزاء.

مفهوم العمل في الإسلام:

من الجدير بالذكر كما سبق أن العمل الإسلامي في مفهومه الصحيح: هو الحقوق في مفهومها الشامل لكل مخلوق وموجود، وكل شيء على الأرض .

ولا سبيل لحياة صحيحة آمنة للإنسان، إلاَّ كما فصّلها المولى عز وجل في القرآن الكريم ، وقد شرحها النبي ρ في السنة النبوية الشريفة بأقواله، وأفعاله فإن حياته ρ الكمال والتمام ، فهو صلى الله عليه وسلم يجسد الواقع العملي لتلك الحقوق، و القدوة والأسوة الحسنة، قال الله تعالى :**[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً]** [2]

حقوق المسلم في التعليم والتعلم:

لقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على كل مسلم ومسلمة؛ ولذلك فكما سبق أن أول أمر في أول آية نزلت على الرسول ρ كانت في قوله تعالى : **[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]**[3].

ولذلك أمر الله تعالى الإنسان بالتعقل والتدبر والتفكر، للآيات الكونية من معارف، وعلوم قال سبحانه وتعالى : **[قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]**[4].

وعلى الجانب الآخر قال الله تعالى :**[وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]** [5].ولذلك ومن الجدير بالذكر، نهى الإسلام عن تقليد الآباء والأجداد دون التعقل والعلم الصحيح له، ونجد قوله تعالى : **[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]**[6] .

ومن ثم ومن الجدير بالذكر، فقد ارتبط العلم بمعرفة الخالق عز وجل، وخشيته لقوله تعالى: **[إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء]**[7].

---

[1]() الروم: آية 41.

[2]() الأحزاب: آية 21.

[3]() العلق: آية 1: 5.

[4]()سبأ: آية46.

[5]() الإسراء: آية 36.

[6]() الزمر: آية 9.

[7]() فاطر: آية 28.

هذا لأن بالعلم يعرف الإنسان من أسرار، وحكم، وإبداع خلق الله تعالى فى النفس والأرض، والآفاق.

وقد حوي القرآن الكريم من الآيات العظيمة، التى تنبه الإنسان بضرورة التعلم والتفكر فى خلق الله تعالى، منها قوله تعالى : (**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**) [1]

وبالدراسة والعلم والبحث والتدبير لآيات الله تعالى، يتبين للإنسان أن الله تعالى هو الحق سبحانه، فقال الله تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**)[2]

وكلما ازداد الإنسان علمًا كلما عرف بقصوره، ونقصه، كذلك يعرف الله تعالى، فإذا كان الحبيب المصطفى رغم علمه يقول : **(وقل ربى زدني علمًا)** [3].

ومن ثم فليس فقط علوم العقيدة، والتفسير، والفقه، كما تصور البعض، ولكن يجب على الإنسان أن يعرف بقدر استطاعته من المعارف والعلوم، فكلها ترجع إلى الخالق عز وجل كما أمره سبحانه، وكما كان الرعيل الأول، ومن أقوال الحبيب المصطفى : أذكر قوله ρ : **(من سلك طريقًا التمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة)** [4].

وما أعظم قوله ρ : **(ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى، أو يرده من ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عقله)** [5].

ومعنى ذلك أن العقل إذا استقام يستقيم الدين ؛ ومن ثم فإنه ميزان استقامة الدين باستقامة العقل.

وقفة جديرة بالذكر في استقامة العقل والدين.

كما سيأتي أن الحضارة الغربية بعلومها واكتشافها تأسست على أسس مادية فانية، ولذلك في لائحة الحقوق للأمم المتحدة، نجد أن الدين ليس له قيمة : لا تشريعية، ولا أخلاقية. ولا اعتراف عندهم البتة بالحلال والحرام، ولا الدار الآخرة ، فإن الحقوق عندهم قوانين وضعية مادية متفاوتة بين دولة وأخرى ؛ ومن ثم وجدنا كثرة الحروب والقتال وضروب الفساد على الأرض، وبين الناس .

صلة الكون بالمعلم والعالم :

ما أعظم حديث الرسول ρ، وأعظم قدر العلم في قوله ρ : **(إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير)** [6].

ولذلك فإذا انفصل العلم عن الخالق، في نيته وغايته، وارتبط فقط بالحياة المادية والحواس، صار دمارًا، وفسادًا للأرض، مثل أسلحة الدمار الشامل، التي هي من علوم الشر والفساد في الأرض .

وقفة فى تدهور أحوال المسلمين:

لما أهمل المسلمون اكتساب العلم بمفهومه الصحيح، تدهورت أحوالهم، وكثر الفساد في حياتهم؛ لأنهم على الأكثر قد ارتبطت علومهم بالمنطق الحسي، الذي هو التقليد للفكر الغربي، دون التعقل والتدبر الصحيح له .

([1]) الرحمن آية : 5 – 7 .

([2]) فصلت آية 53 .

([3]) سورة طه الآية 114.

([4]) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعا .

([5])اخرجه الطبراني في الاوسط.

([6]) جاء عند الطبراني في الكبير وجاء عند الترمذي وابن ماجة بلفظ اخر .

لذلك رأى العالم الجليل الإمام "محمد الغزالي"، أنه منذ زمن تولت شئون المسلمين حكومات تصلها بالإسلام، خيوط واهية، وأغلبهم رؤساء، أو ملوك يحترفون الحكم شهوة للسلطة ورغبة في الثروة.

ومن ثم لم يقرب هؤلاء الحكام، إلاَّ العلماء الذين في كفاياتهم ضعف، وفى أمانتهم غش.

وهذا ما أدى إلى الحكم في تراب التاريخ، من أئمة دفنت ذخائرهم، وخفيت أسماؤهم وحرمت الجماهير الظمأى، من الانتفاع بهم إلاَّ قليلاً .

وتركت تلك الحكومات الإسلامية، الشعوب للفراغ الديني، والتعلق بالبدع، والتعلق وراء الأوهام، وتلك آفات لم يعرفها العالم الإسلامي الأول، أيام الرسول ρ والخلافة الراشدة [1].

هذا إلى جانب تدهور أحوال المسلمين الاقتصادية، والاجتماعية وكثرة المشاكل والقضايا إلي جانب انتشار الأمراض والأوبئة بينهم، ذلك من عدم استقامة عقولهم وفكرهم، ما أدى بهم إلى أنهم أصبحوا يقلدون أصحاب الفكر المادي، دون أي وعى إسلامي سديد، وهذا التقصير أيضًا أدى إلى ظهور فرق مغالية في فهمها للدين، وأيضًا دون أي وعى صحيح وسديد للإسلام.

ولذلك ومن الجدير بالذكر إن من أهم الحقوق الإسلامية، فيما يتعلق بالحاكم من واجبات، في حق مجتمعه الإسلامي، تعليم الناس الدين الصحيح، وأن يعدل بين الناس، وأن يأتمر بأمر الله تعالى، وإذا وجد في نفسه عدم القدرة على الحكم فليعزل نفسه بنفسه، فإنه على قدر ما يؤجر الحاكم الصالح، من سعيه لله تعالى، في إحقاق الحقوق، وعدله بين الناس، وكل إصلاح له .

على قدر عقوبة الحاكم الظالم، والجاهل في ضياع حقوق الناس، فهو لا يحمل وزر نفسه فقط، ولكن يحمل وزر كل مظلوم من حكمه الجائر.

كرامة الإنسان وحقوق العمل في الإسلام:

منذ هبط آدم على الأرض، كلفه الله تعالى، باكتساب العلم والعمل، بعد ما هيأ الله تعالى الحياة، لأخذ الإنسان بأسبابها، والاجتهاد فيها، ومن ثم فإن البحث والاكتشاف من أوجه الخير، قال الله تعالى : (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**) [2].

وقد جعل سبحانه سعى الإنسان بالأسباب، بما أمره سبيلاً لحياة صحيحة طيبة، و جزاء خلوده في الجنة، قال الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**) [3].

ولذلك ومن الجدير بالذكر في الحقوق الإسلامية : أن العمل واجب، وأنه من العبادة لله تعالى، على قدر إخلاص العامل وصدقه لله تعالى ؛ ومن ثم فهو محكوم بالصلاح، والخير والنماء، وعمران الأرض بالخير ؛ ولذلك فالشرط الأساس فيه أن يكون حلالاً طيبًا، كذلك العدل والرحمة، والصدق، والعفة .. وسائر الأخلاق والقيم الإسلامية العظيمة، وكل ذلك بتفصيله فى الفقه الإسلامي، وقد سماه الله تعالى كما سبق فى الآية الكريمة بالحلال الطيب.

ونجد قوله ρ فى تحبيبه للعمل : (**إن الله يحب المؤمن المحترف**) [1]وسئل ρ : (**أي الكسب أفضل ؟ قال : عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**) [2] ولذلك حرم الله تعالى، كل أنواع الفساد، والظلم، والغش، والغصب،

([1]) تابع حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة : الشيخ محمد الغزالي ط مكتبية النهضة سنة (2005م) : ص 190 (بتصرف)

([2]) الملك : آية 15 .

([3]) البقرة آية : 168 .

والسرقة، والربا، والاحتكار، والاستغلال، والقمار أو الميسر .. وكل ما يندرج على ذلك من ضروبه، وهو حرام بتفصيله في الفقه الإسلامي، حتى قال ρ عن شدة تحريم ذلك : **(أيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به)** [3] ولأن الربا هو ضياع لحقوق المجتمع، من حيث استغلال القوى للضعيف، فلا يعترف الإسلام بثروات المرابي، قال الله تعالى : (**وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**) [4] وقال تعالى : (**وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**) [5]

كما حرم الإسلام التسول، مع القدرة على العمل، كذلك التكاسل عن العمل، والتهاون فيه وعدم إعطاءه حقه، من الجهد والسعي .

ومن ثم ومن الجدير بالذكر

كما أن العمل أساس من أسس الدين، فيجب أن يصان للعامل حقه فيه ، ويضمن أجره المستحق، فواجب المساواة في الحقوق، والعدالة الاجتماعية في حقوق العمال .

ولذلك من عظمة الإسلام أن غير القادر على العمل، له الحق الواجب على المجتمع، في الزكاة والصدقات، وهى من أسس الإسلام، وقواعده الهامة للقادر، بحيث لو جحدها أو أنكرها يدخل في حكم الكفر أعوذ بالله تعالى ؛ ومن ثم حبب الإسلام في الصدقات فكما أن العامل له حقوق، فالعاجز عنه له حقوق أيضا، قال الله تعالى : (**فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**) [6].

وأشير على الجانب الآخر، أمر الرسول ρ بالراحة للنفس والبدن بعد التعب، لمحو الكلل والملل عن النفوس، ولحب العمل والاشتياق إليه، والكثير من الأحاديث الشريفة ،التي تدل على ذلك منها قوله ρ : **(إن لبدنك عليك حقًا)** [7].

وقفة جديرة بالذكر فى المجتمعات الإسلامية فى العصر الحاضر.

إن أكثر ما حرمه الإسلام نجده مشاعًا في مجتمعاتنا الإسلامية، سواء داخل البلاد الإسلامية، أو بين الدول بعضها البعض، أو تفعله جماعات باسم الإسلام أذكر من أمثلة ذلك:

1- عندما حرم الإسلام "الغصب"، لظلمه بين الناس، لا بين المسلمين فقط، قال ρ **(لا يحل لمسلم أن يأخذ غصبًا من أخيه إلاَّ بطيب نفس منه)** [8].

وذلك ليعم السلام والأمن بين الناس، لكن للأسف الشديد نجد من غرائب أفعال من يدعى الإسلام، انه قد ظهرت جماعات إرهابية من بين ما حللوه أموال الغصب والقهر، لمن يخالفوهم الدين، بل وفى الفكر والرأي، بل ووصل بهم الكفر أنهم أثاروا الرعب بين عوام الناس الأطفال والعجائز والضعفاء، وذوى الحاجة، غير ما قتلوه ظلمًا ممن لا جريرة له سوى أنه كان يسعى لرزقه ، فتتعرض لإرهابهم وفسادهم للأرض، وهو لا ناقة له ولا جمل في زعمهم الباطل .

([1]) رواه البيهقى فى شعب الايمان .

([2]) رواه الطبرانى فى الأوسط .

([3]) رواه الطبرانى فى الأوسط .

([4]) البقرة : آية 275 .

([5]) البقرة آيه : 279.

([6]) يونس : آية 32 .

([7]) رواه مسلم في صحيحة .

([8]) رواه ابن حيان "الترغيب والترهيب"

1- ومن عظيم الحقوق الإسلامية أنه حرم الاحتكار، على الرغم أنه مشاعًا في سياسات الدول، وكذلك من أسس معاملات الناس على جميع المستويات؛ ولذلك حرم الإسلام الجشع، بكل أنواعه، وأوجب أن تباع السلعة بسعر معتدل، لا ضرر ولا ضرار، لكن حتى في القوانين الوضعية، نجد ذلك من الأمور المباحة المربحة التجارية ، سواء كان ذلك في علاقات الدول، أو بين الناس ذلك الاستغلال مشاعا وطبيعي قي معاملاتهم، يخزنون السلع وما يحتاجه الناس، لكي تباع بأكثر الأثمان، والله سبحانه تعالى يقول: **(لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ)** [1]

2- كذلك ليس من الإسلام أن تعطى الحكومات، أو أصحاب الأعمال الأجير، راتبًا دون كفايته، أو يعطى العامل أجرًا دون مهارته، وللأسف الشديد هذا هو المشاع في مصر الآن والكثير من البلاد الإسلامية، نجد على سبيل المثال : المدرس، أو حتى أستاذ الجامعة تعطيه الحكومة راتبًا لا يناسب عمله، تمامًا ولا ظروفه، ولا ما بذله من جهد ومال، لكي يصل إلى هذه المكانة، هذا بجانب خطورة مركزهم العلمي، في التعليم، والشرح، والدرس للقيم والأخلاق مما أدى إلى كل السلبيات، والمشاكل الكثيرة جدًا التي نعانيها في مجتمعاتنا، من فساد في العلم والسلوك .

ولذلك من الجدير بالذكر :

شتان بين ما كان في الحضارة الإسلامية، عندما كان يباع الكتاب بوزنه ذهبًا، وتقدير الخلفاء والأمراء للعلماء في أي علم، حتى ولو كان من غير المسلمين كما سبق، وما بين أحوال التعليم الفاسدة من سياسات حكومية ونظم فاسدة ، وبين معلمين باعوا كل القيم والمبادئ بسبب ما يتعرضون لهم من ظلم في أجورهم .

ولذلك من العجب أن المسلمين أحوالهم بهذا السوء، والفساد، وكان من عظيم الحضارة الإسلامية العدالة الاجتماعية في الحقوق، فلا يستطيع صاحب مال أن يطغى أو يستغل بماله.

ومن الغريب أن الكثير منهم يحفظون القرآن الكريم، ويعرفون قوله تعالى : **(وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا)** [2]

ومن الأمن، ودعائم الاستقرار بين الناس أن لا يكون لصاحب المال من ضرر، ولا الأجير أو العامل عنده أيضًا من ضياع لحقوقه.

فالحياة الكريمة في الحقوق الإسلامية، يجب أن تكون للناس كافة، وذلك لا يكون إلاَّ بالرجوع لعظيم الأصول الإسلامية .

كما أوجب الإسلام حقوق صلة الرحم، واليتامى، والجار، والصاحب، وابن السبيل كل ذلك فصله الفقه الإسلامي، وقال تعالى: **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)** [3]

ذلك نجد حكمة على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :

" **إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه** " [4].

([1]) البقرة : آية 279.

([2]) الأعراف : آية 85 .

([3]) النساء : آية 36 .

([4]) هذا القول نقلا من (حقوق الإنسان) الشيخ محمد الغزالي : ص 170(بتصرف).

صور حضارية عظيمة فى حقوق الإنسان :

الجدير بالذكر : أن أعرض من القصص الإسلامي الحضاري، لكي يتبين مدى ما كانت عليه من تقدم، ورقى في حقوق العباد، وأنبه أن هذه الصور أكثر من أن تحصى منها :

1- كان الحبيب المصطفى من حكمته العظيمة، في تعايشه مع أهل الكتاب، أنه يقترض منهم، إذا احتاج ذلك، مما أدهشني في مدى تقديره للحقوق :

حدث زيد بن سعنة (وهو من أحبار اليهود)، أنه أقرض النبي ρ قرضًا كان قد احتاج إليه ليسد خللاً في شئون نفر من المؤلفة قلوبهم، ثم رأى أن يذهب قبل ميعاد الوفاء، المحدد ليطالب بدينه . قال : أتيت (يعنى رسول الله ρ) فأخذت بمجامع قميصه ورداءه، ونظرت إليه بوجه غليظ (أي عابس) قلت له : يا محمد ألاَّ تقضيني حقي ؟ فو الله ما علمتكم بنى عبد المطلب إلاَّ مطلا ! (مسوفين فى أداء الحقوق) ولقد كان لى بمخالطتكم علم ! ونظر إلىَّ عمر، وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، فقال : يا عدو الله : تقول رسول الله ρ، ما أسمع وتصنع به ما أرى ؟ فوالذي نفسي بيده، لولا ما أحذر فوته (لولا ما أخشى أن يفوتني من رضا رسول ρ) لضرب سيفي رأسك .

ورسول الله صلى ρ ينظر إلىَّ فى سكون وتؤدة ، فقال : (يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن إتباعه ، اذهب يا عمر فأعطه، وزده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رعته . قال زيد : فذهب بى عمر، فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعا تمر فقلت ما هذه الزيادة يا عمر ؟ قال أمرني رسول الله ρ أن أزيدك مكان مارعتك [1].

إلى هذا الحد كانت حقوق الإنسان في عهد رسول الله ρ، بل وأكثر من ذلك في حياته من مثل عليا علمت الأرض كلها .

2- ومن التقدم الحضاري المذهل في أفعال المسلمين الأوائل، أذكر من الأمثلة العظيمة في حفاظهم على أموال الناس، وكيان الدولة ممن يتولى الحكم فيها والرأي .

كان عمر بن الخطاب ψ يتابع، ويراقب ثروات ولاة الحكم، فإذا عرف من تغير في أحوالهم المادية، واستغلال لنفوذهم أمر على الفور بمصادرة أموالهم، كما فعل ذلك مع كبار الصحابة، فأذكر من شدة عدله، ومن مواقفه الطريفة، لتحريه العدل والمساواة بين الولاة والناس: كان من ولاة البحرين أبو هريرة الصحابي الجليل ψ، فقد أبلغه أنه أثرى في أثناء ولايته لها فأحصى ثروته، وصادر جميع ما حصله فيها، وألحقه على الفور ببيت المال، ومن المثير للدهشة ما حدث بينهما من نقاش طريف أذكر منه:

" **قال عمر ψ : استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسًا بألف دينار وستمائة دينار.**

فقال أبو هريرة (ψ) : كانت لنا أفراس تناجت وعطايا تلاحقت .

قال عمر : حسبت لك رزقك، ومؤنتك، وهذا أفضل فأده .

فقال عمر : بلى، والله لأوجعن ظهرك ....."

([1]) رواه الطبراني في صحيحة ، وتابع : الإسلام في مواجهة التحديات : كتاب أ.د حمزة النشرت ، والشيخ عبدالحفيظ فرغلي . ط دار النشرتي من صـ91:93

وحدث ذلك أيضًا مع الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ψ لما ولاه عمر ψ على الكوفة، وفعل ذلك أيضًا مع عمر بن العاص، في ولايته لمصر، حيث كتب إليه : " إنه فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان، لم تكن لك حين وليت مصر " .

فكتب إليه عمرو : " إن أرضنا أرض مزدرع، ومتجر، فنحن نصيب فضلاً عما تحتاج إليه نفعتنا " .

ثم قال عمر بن الخطاب له : " ..... **وكتابك إليَّ كتاب من أقلقة الأخذ بالحق، وقد سئت بك ظنًا، ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فأطلعه وأطعمه، وأخرج إليه ما يطالبك به، وأعفه من الغلظة عليك** ...."

فأذعن عمرو للأمر، وترك محمد بن مسلمة يقاسمه المال " [1].

3- ومن الصور المضيئة في الحضارة الإسلامية، روى المؤرخون أن يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز عاملاً على صدقات أفريقية، فاقتضيها وطلبت الفقراء نعطيها إياهم، فلم نجد بها فقيرًا، ولم نجد من يأخذها (**لقد أغنى عمر الناس**[2])

ولذلك أخذ الوالي هذه الزكاة المجموعة، وقال اشتريت بها عبيدًا وأعتقتهم .

ولذلك من عظمة حضارتنا الإسلامية أن في عهده ψ ملئت الأرض عدلاً ورحمة وسلامًا وآمنًا .

فما وجد في خلافته القصيرة (**في سنتين ونصف**) من الجماهير التي تعمر الأرض من يشكو .

هكذا كانت حياتهم، فقد عمروا الدنيا علمًا، وعملاً، وآمنًا، وسلامًا، وسبلاً صالحة لرضوان الله تعالى

أسس النظرة الإسلامية للبشر:

قامت الحضارة الإسلامية على أسس وأصول، تشريعيه، نزلت من السماء، وطبقتها على أرض الواقع، القرون الأولى من الحضارة الإسلامية، أسمّاها ما كان في العهود الأولى، من انتشار الدعوة في المدينة المنورة، ولذلك نجد قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[3]

إن هذه الرؤية هي رؤية، ومبادئ وقيم ومفاهيم، نزل بها الوحي وطبقها العهد النبوي، فى الواقع البشرى ؛ ولذلك فهي ترجع للفطرة الإنسانية، وتقنع العقل وتروى الوجدان، وهى بذلك وبالحجة الدامغة [4].

أولا: العدل والمساواة:

إن العدل والمساواة، كما أشرت قبل ذلك، كان الأساس، في نهج الأمة الإسلامية، حتى رسول الله ρ، بقدره العظيم كان يقول، وينهج هذا الأساس، لقوله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾[5] فكان أهم ما ينبغي عليه حقوق البشر في العدل والمساواة:

1-تشريع الله تعالى الخالق، الميزان الرباني الذي لا يخضع لرأى، ولا لهوى حاكم، أو سياسي جائر، ولذلك فان العدل في نظر الشارع غاية يقصد لذاته، يطبقه الناس على الحاكم أو السياسي، فمن حق الناس سؤاله عن شريعة الله تعالى في حكمه.

([1]) تابع ذلك بتصرف (حقوق الإنسان) محمد الغزالي ص 189: 198 (بتصرف).

([2]) المرجع : ص 198 (بتصرف).

[3]()الحجرات آية 13.

[4]()تابع إشكالية الإستبداد والفساد : أ0د عبد الحميد أحمد : د دار السلام : ص 145 (بتصرف).

[5]()الكهف آية 110.

2-نظرة الحاكم والسياسي المسلم، أن حسابه، وعقابه عند الله تعالى فمهما كان من حساب شرعي في الدنيا، إلاَّ أنه في الآخرة هو الأساس في الجزاء، وهذا هو عقيدة كل مسلم ومسلمة.

ومن ثم فان ضبط السلوك وتطويع النفس على العدل والمساواة، والتواضع لا يكون أبداً إلاّ بقوة أكبر من الإنسان، ووجوده، ولا يكون

ذلك إلاَّ بشرعه سبحانه وتعالى.

3-إن أسس الدولة الإسلامية الأمن والأمان، والسلام في الأرض؛ حيث تقوم العلاقة بالناس،بمختلف عقائدهم، بالعدل، فلا أهواء ولا ميول نفسية في أحكام الله تعالى بين البشر، قال الله تعالى:﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾[1]

ومن ثم فان نظرة الحاكم في الأمة الإسلامية، أنه الفرد الذي يأتي يوم القيامة، ويحاسبه ربه سبحانه وتعالى على رعيته؛ بقوله تعالى﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾[2]

وقفات من الصور العظيمة فى الحضارة الإسلامية:

لقد سبق أن الحق، والعدل، والمساواة، هى الأصول، والقواعد، منذ العهد الأول الإسلامي، وقد كانت واقعاً عملياً بين الناس، ولذلك هى ليست قاعدة بشرية، بل هى نهج رباني وشريعة من لدن حكيم عليم، حفظه الله تعالى فى القرآن الكريم منها اذكر التالى:

1- إن في خطبة الوادع، فيها من الوصايا والتحذيرات للناس كافة على الأرض حيث خاطب رسول الله ρ الناس جميعاً من عهده..إلى يوم القيامة، ومن ثم فقد شملت كل القضايا الإنسانية، اذكر منها:

"**أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلاَّ بالتقوى، ألاَّ هل بلغت؟ اللهم فاشهد. ألاَّ فليبلغ الشاهد منكم الغائب**"[3]

ولذلك نشأت الصحابة رضوان الله عليهم على هذا الأدب، وكان مجلسه ρ المثل العليا لذلك، وقد حدث من الصحابي الجليل أبى ذرالغفاري ما يشبه فعل الجاهلية، حيث روى رضي الله عنه أنه احتدم الجدال بينه وبين أحد الزنوج، فعيره قائلاً: **(يا ابن السوداء)**، فأنكر رسول الله ρ، قائلا ρ **(أعيرته بأمه؟ ! إنك امرؤ في جاهلية)**.

وقد غضب ρ قائلاً : **(طف الصاع، طف الصاع) أي جاوزت الأمر كل جد، (ليس لأبن البيضاء على ابن السوداء فضل إلاَّ بالتقوى أو بعمل صالح) . وقد ندم ψ ندماً شديداً، وأثرت كلمات الرسول ρ فى نفسه، لدرجة أنه ألصق خده بالأرض، وقال للأسود: (قم فطأ على خدي)** [4]

2-قصة المرأة المخزومية، التي تقرر قطع يدها؛ لثبوت جريمة السرقة عليها، ولمكانة أسرتها، وسطت" أسامة بن زيد " للشفاعة لها عند رسول الله ρ غضب رسول الله ρ، لما تحدث به أسامة، وانتهره، فقال له ρ

---

[1]()النساء آية : 58.

[2]()مريم آية 95:93.

[3]()تابع الخطبة فى صحيح رواه البخارى ومسلم.

[4]() رواه البخارى فى صحيحه ومسلم.

مستنكراً: **(أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!)** ثم قام ρ في الناس خطيباً، يقول لهم: **(إنما أهلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد).**

ثم قال ρ:**(لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[1]

هذا أيضاً لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2]

3-من أعظم العهود الحضارية للمسلمين، عهد خلافة عمر بن الخطاب ψ فكل حياته في هذا العصر كان فيها من المثل والأسوة الطيبة برسول الله صلي الله عليه وسلم ، علي نقيض ما في هذا العصر من اهانة للإنسانية ، اذكر من عظيم هذه الصور:

كان فيها من المثل والأسوة الطيبة برسول الله ρ على نقيض ما.

كان عمر بن العاص، والياً على مصر، وقد اشتبك ابنه مع أحد المصريين وضربه، وقد أغراه ملك أبيه، فلم يهتم بما فعله، فأقسم المصري ليأخذ حقه، وأن يبلغ شكواه لخليفة المسلمين فى مكة المكرمة، لأنه يعلم أنه يعيش في ظل قوة دولة الحق والعدل والمساواة.

ففى موسم الحجيج، رأى المصري خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فقال له:

إن هذا! وأشار إلى ابن عمر، ضربني ظلماً، ...ولما توعدته بالشكوى إليك، قال ! افعل فلا تضرني شكواك **(أنا ابن الأكرمين)** فنظر عمر بن الخطاب إلى عمر بن العاص، نظرة استنكار، وقال له الكلمة العظيمة المشهورة:

(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، ثم توجه إلى الشاكي، وناوله سوطه وقال له: اضرب ابن الأكرمين، كما ضربك

ومن عظمة عدله، ومتابعته البلاد الإسلامية،وحرصه على المساواة بين الناس: كتب إلى عمرو بن العاص، والى " مصر" يقول له:

" **بلغني إنك تتكئ في مجلسك، فإذا جلست فكن كسائر الناس.**

ومن زهده وورعه لله تعالى، رفض أن يأخذ مقابل رعيته للحكم، من بيت المال إلاَّ لضرورة، ومن ثم كان قدوه لولاته (كما سبق) أن لا يتكسبوا من هذا الأمر، فكان دائما يقول: (أنا في مال المسلمين كولي اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف...!)[3]

فكان ψ، وكل من يقوم في حكم البلاد الإسلامية، والجهاد في سبيل نشر الدعوة، لا يقتضون إلاَّ القليل من عمل شاق، ومسئولية عظيمة في بناء دولة عظيمة، ملئت الأرض آمنًا وسلامًا وعدلاً.

ثانيا: حقوق وحرية أهل الكتاب:

1-إن الحرية، ترتبط بالعدل والمساواة، وهى من الأسس الحضارية للدولة الإسلامية مسئولية للفرد، كما هي من حقوقه الأساسية.

فإذا كان مالك الملك، الخالق عز وجل، قد جعل معرفته وعبادته اختيارية، فهل للإنسان على الإنسان من سجن لهذه الحرية؟!

---

[1]() رواه البخارى فى صحيحه ومسلم.

[2]() المائدة: آية 8.

[3]() تابع حقوق الإنسان...) الشيخ محمد الغزالى: ص58، (بتصرف)

2-لكن إن الحرية في الإسلام مسئولية، وشروط وأصول، معروفه في الفقه الاسلامى منها: أن لا يفسد في الأرض، ولا يؤذى من مخلوق قط. والأدلة كثيرة فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** [1]

وقال تعالى لرسوله ρ : ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[3] ولذلك فإن الآداب الإسلامية عظيمة احترام حرية الناس، مع قضاء حقوقهم، فإذا كان الرسول ρ كان يحترم الإنسان ميتاً، على رغم كفره بالله تعالى، أليس بأولى بالمسلمين أن تتأدب ولا تتدخل فيما لا يعنيها في حياة الناس!!

فقد روى عن رسول ρ أنه قام لجنازة يهودي، فى صحيح البخاري عن جابر ψ قال: **(مرت بنا جنازة فقام لها النبى ρ، وقمنا فقلنا يا رسول الله!! إنها جنازة يهودى؟ قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا)** وفى رواية أخرى**(أليست نفساً؟)**

ومصداقاً لذلك أيضاً، وصيته ρ العظيمة :

(لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ومن آذى ذمياً كنت خصمه يوم القيامة).

3-وقد وصى عمر بن الخطاب ψ، سعد بن أبى وقاص، ومن معه من الأجناد، حيث وصيته: "....ونح منازلهم**(أى جنودك)** عن قسري أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلاَّ من تثق بدينه، ولا يرزا أحداً من أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة، ابتليتم بالوفاء بها.

كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فوفوا لهم"[4]

وقفة جديرة بالذكر فى مدى الرحمة والرفق بأهل الذمة:

إن أهل الذمة لم يرتضوا إلاَّ بما لديهم من دين، وهم في ذمة عظمة الأمة الإسلامية.

ومن ثم موقفهما معاً، من نوادر التاريخ:

أولا: رفق عمر بن الخطاب ψ، وجيشه بهم، وشفقته لهم، بأمره بتنحية جيشه عنهم بقوله**(كفى من تحملهم من وجودهم لناحيتهم).**

ثانيا: مدى الأمان والسلام والرخاء الذين عاشوا فيه أهل الذمة، في تلك الحضارة العظيمة.

ثالثاً: من الجانب الأخلاق حينذاك، أخلاق أهل الذمة، وكرمهم في استضافة، عسكر المسلمين ثلاثة أيام، على رغم من اختلاف الدين، وعلى رغم رؤيتهم للمسلمين، في عظمتهم وجهادهم فى نشر دعوة الإسلام، وهو الذي لم يرتضوا به.

رابعاً: هنا التطبيق العملي من المسلمين لعدم الإكراه في الدين، بل الأمر أكبر من ذلك هو خلو قلوبهما معاً، من أي ضغائن وحيل تجاه الآخر منهما.

4-إن فتح البلاد للدعوة الإسلامية، كان فتحاً، وتحريراً لشعوب تلك البلاد، على وجه الخصوص أهل الكتاب، فنجد قمة الحرية، عندما دخلت الجيوش الإسلامية فاتحة، للدول المحتلة للفرس والروم، فقد أسقطوا حكم الأكاسرة، وظلمهم. وردت الحقوق إلى شعوب تلك البلاد من أهمها الأمن والسلام والعدل، والمساواة، والرحمة، والحرية، وكافة حقوقهم الاقتصادية، فقد تغيرت أحوالهم تماماً.

---

[1] ()البقرة:265.

[2] () الغاشية: 21،22.

[3] () الكهف: 22.

[4] () تابع: المرجع السابق : ص 59 (بتصريف).

ثالثا: حق الحياة وحرمة الدم:

إن حرمة الدم عظيمة في الإسلام، والكثير من الأحاديث الشريفة التي تدل على ذلك أبرزها ما سبق في خطبة الوداع، منها قوله ρ : **(إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا)** [1]

وقال ρ : **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة).**[2]

وقد ورد عن ابن عباس، كما رواه الطبراني في صحيحة:

قتل بالمدينة قتيل على عهد رسول الله ρ، لم يعلم من قتله، فصعد النبي ρ **المنبر** فقال:

(يا أيها الناس يقتل قتيل وأنا فيكم، ولا يعلم من قتله، لو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله تعالى إلاَّ يفعل ما يشاء)

وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[3]

ولذلك إن تعذيب الناس، من الكبائر، التي تغضب الرسول ρ :

روى هشام بن حكيم، أنه مرَّ بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا فى الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون فى الخراج)

فقال هشام: أشهد أنى سمعت رسول ρ يقول:

(إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا)

ودخل على الأمير، فحدثه فأمر بهم فحلوا.[4]

وهذا ليس غريباً لأن حرمة الدم، والحفاظ على الحياة، لا يخص الإنسان فقط، بل الحيوان أيضاً لقوله ρ **:(دخلت امرأة النار فى هرة حبستها، فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض)**

وغفر الله تعالى لرجلاً سقى كلباً يلهث من العطش، فروى عن النبي ρ: **(أن رجلاً أصابه ظمأ شديداً فنزل بئراً ليرتوي من مائها فلما خرج منها، رأى كلباً يلهث يلمس الثرى من العطش فقال لى: لقد أصاب الكلب من الظمأ، مثل الذي أصابني، فنزل البئر وملأ خفه، وسقى الكلب فشكر له الله له فغفر له) .**

وقد سبق ذلك في حقوق الإنسان والحيوان.

رابعاً: قدرة الحاكم وحكمته السياسية:

من الجدير بالذكر أن ولاية الحكم، وما يخص قرارات الدولة، من الأمور الخطيرة جداً في الإسلام، حيث إن حاكم الدولة إذ لم يعرف خطورة منصبه، إذا ظلم أو إذا أمر بشئ ليس فيه من الحكمة والحنكة، ماذا تكون عاقبته على الناس وعليه في الآخرة، فإن ذلك من الخسران المبين.

فمن أهم أسباب الفساد في العالم الاسلامى، على الأكثر هو هذا السبب ، وهذا ما أدى إلى تدهور أحوال المسلمين.

---

[1] () رواه البخارى فى صحيحه.

[2] () رواه البخارى فى صحيحه.

[3] () البقرة: آية: 30 : 32

[4] () رواه مسلم.

لمَّا تولى أبو بكر الصديق ψ الخلافة، بعد رسول الله ρ خطب الناس فقال: **(يا أيها الناس: أنى وليت عليكم، ولست بخيركم فإن أحسنت فتابعوني، وإن صدقت فقوموني. القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فان عصيت فلا طاعة لي عليكم)**[1]

هكذا بدأت الدولة الإسلامية **(القوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف قوى حتى آخذ له الحق)**

وقد سبق كيف كان عمر بن الخطاب يتابع العالم الإسلامي في حكامه ومحكومين

قال عمر بن الخطاب ψ عندما تولى الخلافة:

(....لوددت أنى وإياكم فى سفينة فى لجة البحر، فذهبنا شرقاً، وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه.

فقال طلحة: **وما عليك لو قلت: وان تعوج عزلوه، فقال عمر: لا القتل أنكل لمن يأتى بعدى).**

فقد أراد لنفسه القتل على أن يعزلوه من الولاية عليهم؛ لأنه يعرف مدى خسارة الأمة، إذا لم يتولى أمرها الذي يصلح، ولذلك كتب لأبى موسى الأشعري، واليه على الكوفة يقول: **(يا أبا موسى إنما أنت واحد من الناس، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً إن من ولى أمر المسلمين يجب عليه ما يجب على العبد لسيده)**

ومن شده حرصه على تأدب ولاته، وعلى مساواتهم بالناس: كتب إلى عمرو بن العاص والى مصر يقول له:**(بلغنى أنك تتكئ فى مجلسك، فإذا جلست فكن كسائر الناس)**

وعند أنفاسه الأخيرة، عندما طعن، قيل له:

(أوصى يا أمير المؤمنين...استخلف)

فقال ψ : أتحمل أمركم حياً وميتاً؟!

وإن استخلف، فقد استخلف من هو خير منى، رسول الله ρ [2] ورفض أن يكون لابنه الخلافة، فقط أن يكون له الرأي في الخليفة، بعد كبار الصحابة.

هذا لأن الحاكم في الحضارة الإسلامية العظيمة، هو محكوم من رعيته، بتطبيق كل القيم الإسلامية، ومسئول مسئولية خطيرة، فلا تميز بين الحاكم والمحكومين، ولا تفرقة بين حقوق المسلمين وغيرهم.

وهذا ما انتهج عليه الرسول ρ، وصاروا على أدبه

عن أبى ذرالغفاري ψ قال: قف: يا رسول الله ألا تستعملني؟

(أي توليني عملاً) فضرب بيده على منكبي، وقال: **يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلاَّ من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)**[3]

فمنذ ذلك علم الرعيل الأول، أنه ليس كل من له كفاية العلم والعمل، يستطيع إدارة وسياسة المناصب، وتولية أمور المسلمين.

وإن كان ذلك من الشروط الأساسية، لكن يشترط أن تتوفر في شخصيته، فهم أمور الحكم، والقدرة عليه، والحنكة، والحكمة في قراراته، وأن لا بهمل ولا يتسرع..وذلك إلى آخر ما فصله الشرع في قدرة الذي يتولى أمر المسلمين، ولا يبغى ولا يرجو إلاَّ وجه الله تعالى.

---

[1]() رواه البخاري في صحيحة.

[2]() تابع حقوق الإنسان....المرجع): الشيخ محمد الغزالي: ص58،59(بتصرف).

[3]() رواه البخاري ومسلم في صحيحها.

جاء رجل يسأل رسول الله ρ : متى تقوم الساعة؟ فقال له: وكيف إضاعتها؟ قال ρ : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة)[1]

فلعظم هذا الأمر، وخطورته في حياة الناس، قال عنه ρ أنه من علامات الساعة، وقد وصفه ρ بالأمانة، التي يحملها الإنسان، لثقلها في حساب يوم القيامة.

وقفة جديرة بالذكر فى تدهور أحوال المسلمين:

جاء الإسلام ليقضى على النظرة العنصرية، وعلى كل ظلم من آثار الجاهلية.

ولذلك تحطمت أصنام العنصرية في دولتين عالمتين حينذاك: (الروم، والفرس)، فاخرج الإسلام الناس من هذه الظلمات(كما سبق) إلى نور الحياة الفطرية؛ ولذلك حقق للإنسانية كرامتها.

لكن للأسف الشديد العالم الاسلامى اليوم، في تشرذم وخلافات، وتفرق، والأصول الإسلامية، والقيم صارت غريبة بينهم.

ورجع الإنسان إلى النظرة العنصرية، فالضعيف يزداد ضعفاً، والقوى الظالم يزداد تجبراً وظلماً.

وانتشر الفقر، والمرض، والأوبئة الخطيرة بين المسلمين؛ فضاعت حقوق الإنسان، وكرامته على رغم التغني بتلك الحقوق، والعدل بين الناس، وإن من يطبق أصول الإسلام، وقواعده صاروا للأسف قلة، عن تفشى الظلم بين الناس.

وقال الله تعالى في ذلك: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [2] فإن الله تعالى لا يغير أمر هؤلاء إلاَّ إذا انتهجوا النهج الاسلامى بقلوبهم وقوالبهم.

الفصل الثانى

وقفات فى البيان العالمى لحقوق الإنسان

من الجدير بالذكر في هذا البحث، الذي يوضح من مواقف عظمة، الحضارة الإسلامية في حقوق الإنسان، أن أبين تناقض الحضارة الغربية، وعدم قدرتها على الإصلاح بين الناس وذلك في ظل ما تهمين به من سياسات عالمية، على قدر المستطاع في هذا البحث.

فعلى الرغم ما تتغنى به الدول الكبرى، في لائحة الحقوق للأمم المتحدة، من قيم، وحقوق ومواثيق دولية، في حياة الإنسان، وحريته، وكرامته، والعلوم الحديثة، وكل مؤتمراتهم التي تجمع بها الدول، وما يقررون فيها، إلاّ أن أرض الواقع لا تجد إلاَّ الظلم لحقوق الإنسان، على وجه الخصوص ، في الدول التي أطلقوا عليها بالعالم الثالث، أو الدول النامية، وما يعانون من انتهاك لحقوقهم .

وللأسف الشديد إن ما تعانى منه الأمة الإسلامية، من خلافات وقضايا خطيرة بينهم، وحروب في كثير من الدول، بسبب تدخل الدول الكبرى في شئونها الداخلية، كذلك واستعمارهم لخيرات تلك البلاد، بين ذلك التالي:

موجز عن نشأة ميثاق لائحة الحقوق للأمم المتحدة :

منذ القرن الثالث عشر الميلادي، في أعقاب الأزمات والحروب، والثورات الطبقية والشعبية، كان يتفجر نظريات بين الحين والآخر في حقوق الإنسان فى الحرية، والعدل والمساواة.

وهى المطالب الطبيعية للإنسان، عندما تضيق به الحياة، ويتفشى الظلم والفساد بين الناس.

---

[1] () رواه البخاري ومسلم في صحيحها.

[2] () الروم: 41.

ولم يكن لها الأثر العالمي، بالقياس ما حدث من آثار ميثاق الأمم المتحدة، منها

1- على سبيل المثال في انكلترا : في عام 1679م، أصدر الملك (جان الثاني) من آل ستيوارت، القانون المعروف باسم : قانون تحرير الجسد (أبيس كوربوس) corpus Habeas بموجبه امتنع حبس الأفراد، إلاَّ للدين، أو تهمة جنائية، لكن بعد ذلك ألغوا الحبس من أجل الدين بالقانون في عام 1816م، واقتصر الحبس على ذوى الجرائم الجنائية، أو المتهمين بها [1].

2- وفى الولايات المتحدة الأمريكية، تضمنت وثيقة الاستقلال الصادرة في اليوم الرابع من شهر تمور(يوليو) عام 1776م، بيانًا ببعض الحقوق، كحق الحياة والحرية، ولم يقصد الأمريكيون يومئذ من ذلك تقرير حق الإنسان بها . بل أرادوا بها تبرير حربهم التي أعلنوها على إنكلترا في عام 1775م تلك التي انتهت باستقلالهم في عام 1783م.

3- في فرنسا، وضع نواب الشعب بيانًا بحقوق الإنسان، أعلنوه في اليوم السادس والعشرين من شهر آب عام 1789م، وكان أهم ما تضمنه تقرير المساواة، وصيانة حرية الفرد، وسلامته، واحترام الملكية، وحق الشعب، في مقاومة الظلم والاستبداد، وقد تأكدت هذه الحقوق في مقدمة الدستور الصادر، في الثالث من أيلول (سبتمبر) عام1791م . [2] وهكذا بين الحين والآخر كانت لهم جولات، حول حقوق الإنسان .

4- ثم عاش الغرب ويلات حربيين عالميتين، كان لهما من الدمار والفساد مالا يوصف على الغرب والشرق معًا ؛ ومن ثم بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح لزامًا على الدول الكبرى، من أعقابها الدامية عليهم أن يتفقوا جميعًا على مواثيق الأمن والسلام، .. وكل ما يتعلق بحياة الإنسان وحقوقه.

فتداعت شعوب العالم العربي إلى عقد مؤتمر في مدينة " سان فرنسيسكو" عام 1945م لإقرار السلام، وليرد للإنسان كرامته، وحقوقه، وحريته، وليشارك العالم كله هذه الحقوق والحريات، دون تمييز في الجنس، أو اللغة، أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء" [3].

وقد بدأت حينذاك منظمة للأمم المتحدة، وكان قرارات ما تم في هذا المؤتمر فقط اقتراحًا من ممثلي (فيينا) و(كوبا) و(المكسيك)، ولكن وضع في هذا المؤتمر ميثاق الأمم المتحدة [4].

ومنذ ذلك الحين، وهم في سعى لاتفاق دولي بينهم، حتى 1948م حتى تم الاتفاق بأكثر من 48 دولة، من إجمالي 56 دولة، هم كل الأعضاء الأمم المتحدة في ذلك الوقت.

وقد اعتبرت الدول الكبرى في ديباجته المثل الأعلى الذي يحتذي به في حقوق الإنسان، على رغم أنه امتنع عن التصويت ثمان دول، منها المملكة العربية السعودية .

<u>تعريف ميثاق الأمم المتحدة .</u>

كما سبق تبين أن ميثاق الأمم المتحدة هو : معاهدة، واتفاق من أعضاء المجتمع الدولي، الذي يحفظ حقوق الإنسان بين الدول، ويضمن السلام والعدل بينهم.

وعلى حسب الميثاق بينهم : هو أيضاً الأمر التنفيذي، الذي يفرض على الأطراف المتعاقدة، الالتزام بهذه القواعد والأسس؛ ولذلك فلها السيادة على القواعد والدستور الداخلي، لتلك الدول[1].

([1]) تابع حقائق من الفكر الإسلامي : أ0د محمد عبد اللطيف صالح الفرفور : ط دار المكتبى (الأولى 1423هـ - 2002م) 218(بتصرف).

([2]) المرجع السابق : ص 219 (بتصرف) .

([3]) تابع الإسلام والقانون الدولي : أ0د0 إحسان هندى : ط الأنجلو ص 167(بتصرف).

([4]) تابع حقوق الإنسان بين المفهوم العربي الإسلامي : د/ نبيل فروز : ط مكتبة الأنجلو ص 54 (بتصرف).

ومن ثم : فإن ميثاق الأمم المتحدة هو الذي يضع في المقدمة أعضاءه؛ من الدول الكبرى، ولذلك فله الخصوصية العالمية، وهو الذي ينظم سلطانها ووظائفها.

ومن ثم فخطره يرجع إلى أنه يحدد النظم، والقوانين، التي تحفظ هيمنته، فهو يملك السلطة الدولية، ويحدد السياسة العالمية لكيفية التعامل مع العالم، فقد تجمع الدول الكبرى، علي عقاب دولة صغيرة، من تلك الهيمنة الدولية.

وهكذا فقوته: سلطان، وإلزام عالمي، وسيادة، بحيث لا تستطيع الدول الصغرى، أن تملك الاعتراض، أو الدفاع عن نفسها إذا وقعت تحت سيطرتهم العدائية، من مختلف الضغوط العقابية .

النظرة الاستعمارية في كثير من الأحيان لم تتغير :

على رغم نشأة ميثاق الأمم المتحدة، لتحقيق الحياة الكريمة للإنسان، إلاَّ أننا في الواقع العملي، ما وجدناه في العالم، أنه قد سيطرت المفاهيم الغربية، على قراراتها دون حساب، لأي أصول إسلامية، وهى التي تناقض مع فلسفتها الإلحادية، ونظرتها للمخلوقات.

كذلك نجد أن قراراتها مصبوغة، بكرههم للعالم الإسلامي، فمن المؤسف : أنهم قد توارثوا هذا الكره البيَّن، منذ الحروب الصليبية على المسلمين، ولذلك كثيراً ما نجدهم يتهمون المسلمين بالإرهاب، لمجرد أحداث ليست ثابتة، أو من فعل يشذ عن الفكر الإسلامي الصحيح.

ذلك لأنها دائما تطلق الاتهام للإسلام بأنه يقمع الحريات .

ومن ثم لقد فشلت للأسف الشديد، كما سيأتي لائحة الحقوق للأمم المتحدة بأن يكون ميثاقها، عاماً ومعبراً، عن جميع الثقافات العالمية، وطبيعة الدول الفكرية، ولم تستطع أن تطبق نظرياتها في العدل الإنساني، بين الشعوب.

الوقفة التعجبية الأولى:

لقد تأسس الإعلان العالمي، لميثاق الأمم المتحدة، على إنكار وجود الله سبحانه تعالى أو على الأقل في زعمهم الكافر فصل سلطان الدين عن تلك الحقوق ، وأن للأديان أثر في تلك الحقوق، بخاصة الدين الإسلامي.

فلا أكبر في زعمهم غير، أصولهم العقلية، واجتهاد أفكارهم، ذلك على حسب الأعضاء المختارة، من الدول الكبرى، هم الذين يملكون وضع هذا الميثاق، وتطبيقه كما يرغبون.

ومن ثم لقد اعتمد هذا الميثاق على وضعهم البشرى، وأهوائهم السياسية.

كذلك على قدرتهم التقديرية، وهى التي كثيراً لا تتناسب، وتتناقض مع كل الدول على السواء، فإذا مالت إلى دولة، بحقوق ما، كانت على الجانب الآخر ظالمة لأخرى، كانت تخالفها في تلك الحقوق.

فعلى سبيل المثال:

في المادة الأولى من الإعلان، وهى الأساسية في لائحة الأمم المتحدة، إذ تقول:

"يولد الناس أحراراً، ومتساويين في الكرامة، والحقوق، وقد وهبتهم الطبيعة العقول والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء"[2].

---

[1]() الوجيز في حقوق الإنسان وحرياته الأساسية : د/ غازي حسن صباريني، ط دار الثقافة (الأردن) 1995م: ص: 46(بتصرف)

[2]() تابع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان): د/ محمود شريف بسيونى. المجلد الأول: ص.7، وما بعدها (بتصرف) : ط :مكتبة دار الفكر العربى (القاهر).

وقد أثارت هذه المادة خلافات كثيرة بين الدول الغير أوربية، فأول مادة يزعمون أنها الأساس الأول لحقوق الإنسان هي إنكار الحق والأصل لوجود الموجودات، ولما زادت الخلافات برفض هذه الصياغة من كثير من الدول الإسلامية استبدلوها : (وقد وهبوا) [1]، على رغم أنهم يعلمون أن الطبيعة لا تهب شيئاً.

وفى الواقع البين أن اللفظين لا يغير أصولهم الإلحادية، فشتان ما اعتمد عليه وتأصل في الأسس الإسلامية، وبين ميثاقهم الذي يعتمد على الفكر البشرى، بمعايير غربية؛ ومن ثم حتى ولو اتفقوا على أصول فطرية في حقوق الإنسان، من حرية، وعدالة، ومساواة ... إلاَّ أن التطبيق العملي يختلف بين الفكر البشر، والمنهج الإلهي.

هذا بالإضافة إلى ما تخفيه نواياهم من أطماع بشرية، وعدائية للدين الإسلامي.

وكذلك من أمثلة ذلك، كما جاء في المادة(18)، من الإعلان العالمي، تعبر عن سيطرة المفهوم الغربي، وخاصة حرية العقيدة، على كل الدول الإسلامية وغيرهم[2] ؛ ولذلك ذكر ممثل السعودية، أثناء مناقشات إعداد الإعلان :أنهم اعتمدوا فقط على ما يدور في المجتمعات الغربية متجاهلين الحضارات الأخرى، وأنه ليس من اختصاص اللجنة التي أعدته أن تقرر سمو حضارة بالنسبة للحضارات الأخرى.

أو أن تقيم نظاماً موحداً، بالنسبة لكل دول العالم [3]،.

ومن ثم نجدها في هذا القرار أنه قد اتخذته وسيلة للنقد والهجوم، على الدين الإسلامي كدين في فكرهم العلماني، أنه يقمع الحريات.

ولذلك تبين تناقض ما يزعمونه، ويتغنون به في الغرب، أن ميثاق لائحة الأمم، قواعده الأساسية رفض العنصرية والحزبية، وإن في هذه المادة غير قراراتهم الأخرى، هي ذات العنصرية، فكان من الواجب عليهم، لو صدقت نواياهم في المساواة، والعدل بين الشعوب، احترام أصول الحضارة للعالم الإسلامي .

<u>الوقفة التعجبية الثانية (حق الفيتو)</u>

إن المقصود بحق الفيتو : هو امتياز لخمسة من الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن التابع، لهيئة الأمم المتحدة، الذين هم من الولايات المتحدة الأمريكية، وانجلترا، وفرنسا، والاتحاد السوفيتي سابقاً، وروسيا حالياً، والصين.

فإن لهم حق النقد لأي قرار، يعرض على المجلس. [4]

وبموجب هذا الفيتو:

أصبح من حق أي دولة من دول أعضاء الفيتو : أن تجهض أي قرار.

تتخذه المنظمة الدولية، أيا كان هذا القرار.

وكذلك أن تقرر أمراً، تزعم بصلاحيته، في حقوق الإنسان.وبموجب طغيان هذا الحق جاء فى المادة (103) ما نصه:

"أنه إذا تعارضت الالتزامات، التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقاً لأحكام هذا الميثاق، ومع أي التزام دولي يرتبطون به، في العبرة " التزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق"[1].

---

[1]() تابع المرجع: ص35، وما بعدها (بتصرف)

[2]() تابع الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان : د/ وائل أحمد علام: ص :27 (بتصرف) ط: الأنجلو.

[4]() تابع تفصيل ذلك فى (مصطلحات الشريعة والقانون): أ.د عبد الواحد ص:171(بتصرف) : ط دار الفكر .

ويعنى ذلك خطورة أمر أى دولة، تعترض على قرار يخصها ؛ لأنه لا يحق لأى دولة الاعتراض على مادة من مواد الميثاق، فإن ذلك اختراقاً للميثاق، ولقانون الدولة، بل وخروجاً عن الشرعية الدولية.

ومن ثم خرج العالم العربى والإسلامى، من استعمار أصغر كان فى الماضى، إلى استعمار أظلم وأكبر، وهو استعمار الشئون الداخلية، وسجنها فى سجن الفيتو، وما يقرر أعضاءه.

ولذلك فهو على الأكثر لا يعبر، إلاَّ التحكم والهيمنة على العالم. بحجة حقوق الإنسان.

ومن المؤسف إن ضعف العالم العربي، والإسلامي، جعل من أمريكا قوة فى الظلم، فقد سيطرت على العالم بقوانين تعجيرية لتحقيق أطماعها، وسيطرتها الاستعمارية.

ومن الجدير بالذكر: لقد تعرضت هذه اللوائح الظالمة، للنقد الشديد من كثير من المفكرين العقلاء فى العالم الغربي، أذكر منهم على سبيل المثال :

(آرنولد توينبى)[2]، صاحب : (مختصر تأريخ الحضارة)، وهو الذي وصف ميثاق الأمم المتحدة بالسخيف، لتضمنه حق الفيتو للدول الكبرى، الذي يمكن بموجبه إجهاض أي قرار لنصرة المظلوم. [3]

وعلى الرغم من إيجاز ما ذكرته، من وقفات أردت أن يتضح، من واقع مرير يعيشه الإنسان في العصر الحاضر.

لكن مع ذلك لا أنكر صدق البعض من العقلاء في العالم لتحقيق السلام والعدل والمساواة بين الناس، وإن كانوا في ظل ما نعيشه قد خيم الظلم على كل شئ، فعندما يسيل الدماء في البلاد العربية الإسلامية وتشتعل الحروب، واستنزاف دماء الشعوب.

فأي دور إذن من حقوق الإنسان، سواء بين المسلمين الذين بعدوا عن أصول دينهم؟!! أو في الميثاق الدولي بين الشعوب الذي يزعم بالتحضر والرقى؟!!

ومن المحزن آخر ما شاهدناه في سوريا، وهى دولة عربية إسلامية، في أواخر أنفاسها تصارع الموت، في ضرب شعبها بعضه البعض، كما يدور على أرضها حرب بين دولتين كبيرتين روسيا وأمريكا، ولا يموت إلاَّ الإنسان المقهور بظلم الدول الكبرى، وكل ذلك في ظل ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان؟!!

وإن هذا الواقع المرير، حدث بالفعل عند اعتداء أمريكا على العراق عام 2003م، حيث هاجمت القوات الأمريكية العراق بحجج، واهية أمام العالم، وفى حقيقة أمرها كانت تريد القضاء على قوة العراق والسيطرة على خيراتها، وزعزعة وحدة الشعب العراقي، ولم يكن في حسابها أبداً، ميثاق الحقوق الإنسانية، بل الأمر أخطر من ذلك، وهو مئات الألوف من القتلى، الذين لا ذنب لهم، ذلك على مدار أكثر من سبع سنوات .

ولم يستطع ميثاق الأمم المتحدة، أن يتخذ أي قرار، حتى بالمنع من سفك الدماء، ولا من انهيار دولة، أمام عدوان لم يتغير عن القرون الوسطى، التي كانت في الغرب.

ومن المؤسف أن دولة العراق، تعانى من قضايا كبرى، من أثر هذا العدوان منها، ما زرعه العدوان الأمريكي من الصراع الطائفي الدامي، بين هذا الشعب العريق، وهى التي كانت دولته من أعظم حضارات العالم.

([1]) تابع : حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون: د/ منير حميد البياتى: ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (قطر) (الأولى) 1423هـ 2005م ص37 (بتصرف).

[2]() آرنولد جوزيف توينبى (1889– 1975م) مؤرخ وفيلسوف بريطانى وضع نظرية (التحدى والاستجابة) تابع معجم أعلام المورد – منير البعلبكى ص147.

[3]() تابع مختصر تأريخ الحضارة: آرنولد توينبى: ط196/4: ط الإدارة الثقافية بالجامعة العربية (الثانية).

انظر معي أيها الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها، أهذا الميثاق هو من حقوق الإنسان، التي تلاعبت به أمريكا؟!!!

ولا هو من ظلمات أحاطت بالعالم كله؟!!

وعلى وجه الخصوص ما يحدث في مختلف البلاد كاليمن، وسوريا، والسودان، ولبنان، ومصر التي تواجه تيارات عدائية مختلفة، لكن كما نعلم كيف اتحد الشعب المصري، وحفظه الله تعالى، رغم شدائد عدوانية عاتية، يعلم مداها الله سبحانه وتعالى!!

ومازال الشعب المصري يصد ويواجه عداوات وفتن الكثير والكثير .

ومن الأدهى والأمر من حق (الفيتو) أن حفظ السلم والأمن الدولي هو أوليات الحقوق للعالم الغربي؛ ومن ثم إذا تعارض تطبيقها للعدالة مع هذا الحق، الطبيعي في ميثاقها تطبيق هذا الأصل مهما حدث من ظلم، فالعدل ليس في ذاته غاية، تقصد تحقيقه، وذلك إذا تعارض مع المصالح والأطماع ، وعلى ذلك فإن مبدأ المساواة، في حقيقته هو مساواة على حسب أصناف الشعوب، وأصولها الغربية القريبة من هذه الأمم، من حيث الدول الكبرى.

<u>العنصرية البحتة في حق الفيتو:</u>

إن القصد من (الفيتو) هو ليس بشيء إلاَّ العنصرية على الرغم أن نشأة الأمم المتحدة بسبب تلك العنصرية!!

ومن الأدهى والأمر المؤسف :

أن تعديله من الأمور المستحيلة ، وقد تبين ذلك عندما اعترض عليه الكثير من المفكرين المنصفين في العالم ، فطالبوا بإصلاحه ، ووجدوا أن فيه من التعجيز ، الذي دبرته واصطنعته مصالح الدول الكبرى .

ولذلك لا يستطيعوا التعديلات اللازمة، إلاَّ إذا وافقت عليها الجمعية العامة،، بأغلبية ثلثي الأصوات، وقام بالتصديق عليها ثلثا أعضاء الأمم المتحدة، بما فيهم جميع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن[1] .

وبالتالي لا تعديل إلاَّ بموافقة الدول الكبرى.

أفبهذا لا يوصف إلاَّ بأشد وصف للعنصرية البحتة !!

<u>الوقفة التعجبية الثالثة:</u>

إن مفهوم ميثاق الأمم المتحدة للحرية كما سبق هو نفس مفهومها للعدل؛ ومن ثم فان قراراته في تناقض وتضارب واضح يبين ذلك بوجه من الإيجاز التالي:

- جاء في المادة (18) من الإعلان: "أن لكل شخص حق حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغير دينه أو معتقده وحريته في إظهار دينه، أو معتقده بالتعبد، أو إقامة الشعائر والممارسة، والتعليم بفرده، أو مع جماعة، وأما الملأ أو حدة" [2].

وهذا يخالف ما اتفق عليه جمهور العلماء المسلمين، في حريته في حكم المرتد من الإسلام، وله تفصيله الشرعي؛ ومن ثم لا يجب أن يفرض هذا الميثاق على المسلمين، مما يخالف تعليم دينهم الحنيف.

وعلى الجانب الآخر من التناقض البيِّن في هذا الميثاق : حيث نصت المادة (29) من الإعلان، على القيود المفروضة على الفرد، في ممارسة حقوقه وحرياته، ومنها حرية العقيدة أذكر من نصها :

---

[1]() تابع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان : د/ محمود شريف بسيونى: مرجع سابق: المجلد الأول: ص 27 (بتصرف).

([2]) تابع نص المادة (36) من النظام الأساسى لمحكمة العدل الدولية الأمم المتحدة: 51.

1- لا يخضع أي فرد في ممارسة حقوقه وحرياته، إلاَّ للقيود التي قررها القانون مستهدفاً منها ضمان الاعتراف الواجب بحقوق، وحريات الآخرين واحترامها... ورفاهية الجميع في مجتمع ديمقراطي .

2- لا يجوز في أي حال أن تمارس هذه الحقوق، على نحو يناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها .

وهنا مكمن الخطر والتناقض البيِّن، وهو الذى أدى بدوره لانتشار الإلحاد، وفساد السلوك والأخلاق فى العالم.

أولاً: شددت على حرية العقيدة، وعلى وجه الخصوص حرية المرتد عن الدين.

ثانياً: شددت على واجبات الفرد نحو الآخرين، ومراعاة نظام الدولة.

ثالثاً: وهو مكمن العنصرية، والفكر الاستعماري عندما حظرت أن يمارس الحقوق التى تتناقض مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها، التي نص عليها الميثاق، حتى ولو كانت طبعاً تعترض مع الأصول الإسلامية.

رابعا: من التناقض البيِّن أنها أطلقت حرية الفكر، والارتداد عن الدين، وعلى الجانب الآخر قيدت حرية الفرد في إقامة الشعائر الدينية، إلاَّ على حسب الميثاق؟!!

<u>الوقفة التعجبية الرابعة:</u>

من أغرب قرارات الأمم المتحدة في ميثاقها، المتفق عليه من الدول الكبرى.

حيث وضعوا ميثاق تعجيزي لحلَّ القضايا الكبرى بين الدول، ذلك فى النظام السياسي لمحكمة العدل الدولية، وهى الأصل القضائي للمنظمة الدولية.

ففي المادة (36) منها " فإن لهذه المحكمة أن لا تتدخل للقضاء في قضية، ما إلاَّ إذا رضي الطرفان، الظالم والمظلوم بالاحتكام إليها، وإلاَّ فلا يحق لها أن لا تتدخل للفصل بينهما".

كيف يحققون العدل بين الدول؟ وهم يخيرون الظالم!! فالظالم، المعتدى الجائر له حرية الاختيار فى ميثاق الأمم المتحدة لامتثاله أمامها، وقبوله لحكمها!!

إذن فالسؤال فما هو عملها تجاه الدول الظالمة لحقوق الإنسانية ؟!!

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين اللهم صلى وسلم وبارك على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه قال الله تعالى : [**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**][1].

لقد تبين أن حقوق الإنسان في الإسلام واجبة منه، كما هي واجبة له، وهى في مفهومها العظيم أكبر وأعظم من تصور الإنسان، في إطلاقه لكلمة حقوق، شاملة وكاملة الحياة حيث إنها تعنى حمل الإنسان لأمانة التكليف؛ ومن ثم هي تعنى التكريم له، ذلك بالحياة الصحيحة والآمنة، والمطمئنة .

هي في الأرض كالشجرة متصلة الفروع، والأغصان، تشمل كل متعلقات الحياة للإنسان فإذا انفصلت منها حلقة، تتبعها بقية الحلقات سقوطاً.

ومن ثم لا يستطيع الإنسان أن يتذوق المفهوم الصحيح لحقوقه، ما لم يحقق كل ما عليه من حقوق، متعلقة بحياته. كما فصّلها الشارع الحكيم، وهكذا هي واجبة الوجوب العيني، ولازمة للإنسان في سره، وعلنه بنية وإرادة واحدة، وإن الهدف منها والغاية لله سبحانه وتعالى .

---

[1]() الأعراف: آية 54.

وعلى ذلك لقد تبين فيما عرضت، من عظمة القصص الإسلامي، في الحضارة العظيمة من الحكم في التعايش مع الآخر، والأخلاق الإسلامية النبيلة، فإن الإنسان لا يستطيع بنفسه ضبط تصرفاته، وسلوكه إزاء المشاكل والقضايا بين الناس، وكذلك بوجه عام، إلاَّ بأصول وقواعد ربانية.

يستطيع من خلالها، أن يتزن كل الموجودات في فطرة سليمة نقية، كما خلقها الله تعالى فربما يرى شيئاً يجتمع عليه البعض، من العلماء والحكماء في نظرتهم العقلية القاصرة، أنه الحق، والعدل، ومن جانب آخر يتضح أنه فيه من الشر والظلم للآخرين.

كذلك قد يتناول جوانب من الحياة، ويترك الأخرى؛ لأن الإنسان قاصر عن احتواء كل شيء وتفصيله، وهذا فضلاً عن الأهواء المختلفة، التي تتحكم في الإنسان إلاَّ بالضوابط الشرعية.

ومن ثم الجدير بالذكر يستحيل على الإنسان أن يكون هو الشارع والمشرع له .... وهكذا قد رأينا في لائحة الأمم المتحدة، وغيرها من قوانين وضعية أفسدت ما بين الشعوب، والعالم في تطاحن وتقاتل، والأمر يزيد سوءاً، وفساداً.

فإن رب الكون وخالقه ومالكه: هو المشرع الحكيم العليم الخبير بخلقه، لقد أرسل رسله وأنزل كتبه السماوية لهداية الإنسان، وتكريمه . وليحقق الخير، والسلام، والأمن، والرخاء بين الناس.

وأنبه كما سبقت الحضارة الإسلامية عظيمة؛ لأن المسلمين كانوا يطبقون شرع الله تعالى وأوامره.

ومن الجدير بالذكر : أن الرعيل الأول من المسلمين كل حياتهم كانت تطبيقاً لكل الأصول الإسلامية، وما يتعلق بها من فروع فى الحياة، ومن بين تحضرهم العظيم وجدنا رسالة نادرة " رسالة الحقوق" للإمام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب" فقد بدأ رسالته τ، بحق الله تعالى .... حتى انتهى فى شجرة الحقوق إلى حق أهل الذمة، فأذكر من قوله فيها : " فالحكم أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه، فيما طلبوه من أنفسهم، وأجبروا عليه، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك، فيما جرى بينك وبينهم، من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله، والوفاء بعهده، وعهد رسول الله ρ حائل فإنه قال: (من ظلم معاهداً كنت خصمه) فاتق الله.... [1].

فهذه رسالة للحقوق تشرح كيف يعيش الإنسان فى الإسلام مع نفسه، والآخرين، لكن لمَّا هجر المسلمون العمل الصحيح بكتاب الله تعالى، صارت أحوالهم بهذا السوء والفساد، الذى تفشى في كل شيء في الحياة؛ لقوله تعالى : **[ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]**[2]، ولذلك قال سبحانه : **[إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ]**[3].

فعلى المسلمين أن يرجعوا إلى سيرة الحبيب المصطفى، وصحابته ؛ ليحيوا حياة صحيحة قلباً وقالباً، بالحب والوفاء، والحكمة، والموعظة الحسنة، وبرضا الله تعالى ورضوانه سبحانه.

فلينزعوا ما بينهم من خلافات، ويحقنوا الدماء بينهم، وليعفوا وليعتصموا بحبل الله تعالى جميعاً، ويتحدوا على العمل الصحيح بكتاب الله تعالى، وسنة الحبيب المصطفى.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عليه وسلم.

---

[1]() تابع الصحيفة السجادية الكاملة (رسالة الحقوق)ط دار القارئ (الثانية) (بغداد) 1433هـ - 2012م، ص250.

[2]() الروم: آية 41.

[3]() الرعد: آية 11.

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- صحيح البخارى.

3- صحيح مسلم.

4- صحيح الترمذى

5- أثر العرب فى الحضارة الأوربية – عباس محمود العقاد – ط الهيئة العامة للكتاب سنة 1998م.

6- إشكالية الاستبداد والفساد (فى الفكر والتاريخ السياسي الإسلامى)- أ.د. عبد الحميد أبو سليمان- ط دار الإسلام1432هـ-2011م.

7- الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان – د. وائل أحمد علام ط الأنجلو.

8- الإسلام في مواجهة التحديات : أ.د حمزة النشرتي – والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، ط دار النشرتي "الاولي" 1428هـ / 2007م

9- الإسلام والآخر- (أحمد الجهينى – محمد مصطفى)- ط الهيئة المصرية للكتاب سنة 2005م.

10-الإسلام والقانون الدولى –أ.د. إحسان هندي – ط دار التراث العربي .

11- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان) أ0د/محمود شريف بسيونى ط الأنجلو .

12- الوجيز فى حقوق الإنسان وحرياته الأساسية د/ غازى حسن صبارينى – ط دار الثقافة (الأردن) 1995م .

13- حضارة العرب – لغوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر – ط الهيئة العامة للكتاب 2002م .

14- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة – الشيخ محمد الغزالي – ط مكتبة النهضة سنة (2005م) (الرابعة).

15- حقائق عن الفكر الإسلامي – أ0د0 محمد عبد اللطيف صالح الفرفور – ط1 دار المكتبي (الأولى) 1423هـ - 2002م .

16- حقوق الإنسان بين الشرعية والقانون – أ0د / منير حميد البياتى – ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (قطر) (الأولى سنة 1423هـ - 2002م).

17- حقوق الإنسان بين المفهوم الغربي والإسلامي – د/ نبيل فروز – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003م .

18- رسالة الحقوق – الإمام على زين العابدين (ضمن كتاب الصحيفة السجادية الكاملة – ط دار القارئ (العراق) 1433هـ – 2012م (الثانية).

19- معجم أعلام المورد – منير البعلبكى ط دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى 1992م .

20- مختصر تأريخ الحضارة – آرنولد توينبى- ط الإدارة الثقافية بالجامعة العربية (الثانية).

21- في مصطلحات الشريعة والقانون – أ0د/ عبد الواحد على – ط دار الفكر.